

الطفولة المحاصرة

الحياة والموت في المناطق المحاصرة في سوريا

"فَنَاصُونَ يَطْلُقُونَ النَّارَ عَلَى أَيِّ شَخْصٍ فِي الطَّرِيقِ، أَلْغَاةً فِي الْحُقُولِ. تَمْنَعُ الْحَوَاجِزُ دُخُولَ أَيِّ مَادَةٍ، مِثْلَ الْأَغْذِيَةِ وَالْأَدْوِيَةِ وَالْوَقُودِ، كُلِّ مَا هُوَ ضَرُورِيٌّ لِلْحَيَاةِ. يُوَقِّفُونَ النَّاسَ الْمَغَادِرِينَ، حَتَّى الْأَطْفَالَ الَّذِينَ يَحْتَاجُونَ إِلَى الْعَوْنِ الطَّبِيِّ. وَتَقْبَعُ الْبُيُوتَ وَالْمَدَارِسَ فِي الدَّمَارِ بِسَبَبِ الْقَصْفِ. وَيَتَضَوَّرُ الْأَطْفَالُ جُوعًا وَالْأَسْوَاقُ فَارِغَةً. نَحْنُ فِي الْقَرْنِ الْحَادِي وَالْعَشْرِينَ، وَلَكِنْ، يَعُودُ بِنَا هَذَا الْمَكَانَ مِائَاتُ السَّنِينَ إِلَى الْوَرَاءِ. هَذَا مَا يَعْنِيهِ الْعَيْشُ تَحْتَ الْحِصَارِ."

عامل إغاثة سوري، كانون الثاني/يناير 2016.

الملخص التنفيذي

يعيش ربع مليون طفل سوري¹ على الأقل تحت وطأة حصار غاشم في المناطق التي تم تحويلها، بكل نجاح، إلى سجون مفتوحة. وانقطع هؤلاء الأطفال وأسرهم عن العالم الخارجي وهم محاصرون بالمجموعات المتقاتلة التي تستخدم الحصار، بشكل غير قانوني، كسلاح حرب، مانعين دخول الأغذية والأدوية والوقود وغيرها من الإمدادات الحيوية، ومانعين الناس من الهرب. ووسط تصاعد الفظائع في سوريا، هؤلاء الأطفال هم من بين الأكثر هشاشة، ويريدون إسماع العالم قصتهم.

يهدف هذا التقرير إلى تسليط الضوء على الواقع المرعب للحياة والموت الذي يعيشه الناس، لا سيما الأطفال، في المناطق المحاصرة في سوريا، فضلاً عن إظهار الحاجة الماسة إلى تحرك المجتمع المدني. ولأهداف هذا التقرير، قامت جمعية إنقاذ الطفل الدولية وشركاؤها بتشكيل 22 مجموعة تركيز مع 126 أمًا وأبًا وطفلاً يعيشون في المناطق المحاصرة في سوريا، بالإضافة إلى 25 مقابلة مطوّلة مع مجموعات الإغاثة المحلية والأطباء والمعلمين والأفراد.

وقد رسمت هذه المحادثات صورة المعاناة والجور الهائلين التي تُظهر الأطفال المرضى يموتون في حين أنّ الدواء الذي يحتاجون إليه موجود في الجهة المقابلة من الحاجز، والأطفال المرغمين على أكل العلف الحيواني وأوراق الأشجار وهم على بعد كيلومترات قليلة من مخازن الأغذية، بالإضافة إلى الأسر التي تتجمّد من البرد وغير القادرة على الحصول على الوقود، تمرّق حشوة الفراش بحثاً عن شيء لحرّقه، في الوقت الذي يختبئ الأطفال خوفاً من القصف والبراميل المتفجرة – وهي براميل معدنية كبيرة معبأة بالمتفجرات تمّ رميها عشوائياً – تستمرّ بالهطول على السكان المحاصرين. كما يعمل الأطباء من دون كهرباء والمعدات الأساسية، وتنتقل المدارس إلى تحت الأرض في محاولة يائسة للحفاظ على سلامة

¹ هذا العدد هو تقدير للنسبة الكلية للأطفال من إجمالي السكان المحاصرين.

الأطفال من الانفجارات. وتجدر الإشارة إلى أن أكثر من 22% من الغارات الجوية في سوريا في العام 2015 استهدفت مناطق صنفتها منظمة الأمم المتحدة على أنها محاصرة².

"حين أسمع صوت الفذيفة أو الطائرة، أشعر بالخوف الشديد وأسارع إلى الهرب والاختباء تحت سريري." أحمد، صبي من دوما.

"يعيش الأطفال على شفير الموت ويجبرون على أكل أوراق الشجر - وحتى أنه يُمنع إدخال الطحين والحليب." رائد، عامل إغاثة في المعضية.

"يترك المصابون لمصيرهم لأنه ما من دواء لإنقاذ حياتهم" هيا، أم في الغوطة الشرقية.

بعد مرور خمسة أعوام على اندلاع النزاع، لربّ أنّ عذاب الجماعات المحاصرة، والتي يشار إلى بعضها على أنها "مخيمات الموت"³، يعتبر الدليل الأكثر إثارة للصدمة على فشل المجتمع الدولي. ومنذ العام 2014، اعتمد مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة خمسة قرارات - بمعدل قرار واحد كلّ أربعة أشهر ونصف - داعياً إلى وصول المساعدات الإنسانية دون عائق⁴، غير أنّ الحصار المفروض على قرى سوريا ومدنها أصبح أقوى من أيّ وقت مضى. وقد ارتفع عدد الأشخاص الذين يعيشون تحت الحصار إلى أكثر من الضعف في السنة الماضية⁵.

أما وصول المنظمات الإنسانية إلى هذه المناطق، فهو شبه معدوم وقد تقلص بشكل أكبر في السنة المنصرمة. وقد حصل أقلّ من 1% من الناس في المناطق المحاصرة على معونة غذائية من الأمم المتحدة في العام 2015 وحوالي 3% منهم على المساعدة الطبية⁶. وفي شهر كانون الأول/ديسمبر 2015، كانت الكتب المدرسية المساعدة الوحيدة التي تمكّنت الأمم المتحدة من إيصالها إلى المناطق المحاصرة لـ 2661 طفلاً⁷. وقد وصف الأمين العام للأمم المتحدة كمية المساعدات التي تصل إلى هذه المناطق على أنها "مثيرة للشفقة"⁸.

وعلى الرغم من المخاطر والصعوبات، تعمل وكالات الإغاثة السوريّة عن كثب مع المجتمعات المحلية والمجتمع المدني للحصول على المساعدة بأيّ وسيلة وطريقة ممكنة - ويجازف العديد بحياتهم للقيام بذلك عبر طرق غير رسمية. ولكن،

² استناداً إلى معلومات حصلنا عليها من أليات رفع التقارير لدى طرف ثالث إنساني.

³ مركز أخبار الأمم المتحدة، الأمين العام بان كي مون، "الملاحظات الافتتاحية في لقاء الصحافة"، نيو يورك، 9 نيسان/أبريل 2015 http://www.un.org/apps/news/infocus/speeches/statments_full.asp?statID=2562#.VsC1ubJ96M8 تمّ الولوج إليه

في كانون الثاني/يناير 2016.

⁴ مثلاً: قرارات مجلس الأمن 2139 و 2165 و 2191 (كلّها في العام 2014) و 2254 و 2258 (في العام 2015).

⁵ تتغير التقديرات حول عدد الأشخاص الذين يعيشون تحت الحصار. ولكنّ الأمم المتحدة تقدّر أنّ 486700 شخص (في 2015) يعيشون في 18 منطقة محاصرة مقارنة بـ 212000 في 11 منطقة في شباط/فبراير 2015.

⁶ الأمين العام للأمم المتحدة، تقرير الأمين العام حول تنفيذ قرارات مجلس الأمن 2139 و 2165 و 2191 و 2258، 21 كانون الثاني/يناير 2016، س/2016/60، المقطع 48.

⁷ المرجع السابق، المقطع 49.

⁸ المرجع السابق، المقطع 63.

في ظروف مماثلة، يقولون لنا إنهم يعانون لتأمين أي شيء يعتبر أكثر من الحد الأدنى، وغالبًا ما لا يحصلون على الحد الأدنى حتى، ويبقى معظم الأطفال والعائلات بعيدين عن المتناول.

وبصوّر بحثنا الأثر المريع لهذه الحصار على حياة الأطفال:

- في 16 من مجموعات التركيز الـ17، أبلغنا الناس أنّ الأطفال في جماعاتهم قد فارقوا الحياة من المرض بسبب عدم توفر الأدوية والعناية الصحية نتيجة للحصار.
- قال الناس في مجموعات التركيز الـ22 إنّه كان عليهم أن يقلّصوا عدد الوجبات التي يتناولونها في اليوم إلى النصف أو أكثر. وفي سبع من مجموعات التركيز (32%)، قال الناس إنهم، في بعض الأحيان، لا يتمكّنون من الحصول على وجبة غذائية واحدة في اليوم، وأفادت أربع مجموعات (24%) أنّ أطفالاً محليين قد توفوا نتيجةً للنقص بالأغذية.
- وقالت مجموعات التركيز الخمس المكوّنة من الأطفال إنّها تعيش في خوف دائم من القصف المستمرّ، وقد لاحظت مجموعات التركيز الـ17 كلّها المكوّنة من الراشدين تغييرًا ملحوظًا في سلوك أطفالهم في خلال فترة الحصار. وأفادت 14 مجموعة تركيز (82%) أنّ أطفالها أصبحوا أكثر عدائية أو انطواءً أو اكتئابًا.
- في نصف المجموعات، كان هناك أطفال غير قادرين على الذهاب إلى المدرسة خوفًا من القصف بشكل أساسي.

ويمكن أن يأتي بيان 11 شباط/فبراير 2016، الذي اعتمده الفريق الدولي لدعم سوريا والذي يجمع كلّ القوى الإقليمية والدولية ذات الصلة، بنقطة تحوّل للأشخاص الذين يعيشون تحت الحصار. وقد وافق الفريق الدولي على العمل مع الفرقاء السوريين لوضع حدّ للاعتداءات وتشكيل فريق عمل إنساني يضمن الوصول المباشر إلى السكان المدنيين المحاصرين والذين يصعب الوصول إليهم. وتعتبر حركة المساعدات هذه إلى بعض المناطق المحاصرة خطوةً إيجابيةً، غير أنّها، حتى الآن بعيدة بعض الشيء عن تلبية الحاجات. وينبغي أن يكون هذا الوصول متّسقًا ومستمرًا، وليس تسليمًا لمرة واحدة، بما أنّ الآلاف من الأطفال وعائلاتهم يستمرّون بالمعاناة تحت الحصار والقصف.

يجب ألا يعيش أيّ طفل في هذه الظروف. وبموجب القانون الدولي، إنّ أطراف النزاع ملزمة بالسماح للمساعدات الإنسانية بالوصول إلى المناطق المحاصرة. ولفترة طويلة جدًا، حُرّم الأطفال وغيرهم من المدنيين في هذه المناطق من حقوقهم وكان لهذا الوضع عواقب وخيمة. ومن غير المسموح أن يستمرّ هذا الوضع غير المقبول.

وفي هذا السياق، تتقدّم جمعية إنقاذ الطفل الدولية بالتوصيات الطارئة التالية:

- على أطراف النزاع رفع الحصار فورًا وضمان الممرّ الآمن للوكالات الإنسانية لتسليم المساعدات إلى الشعوب المحتاجة. وعليهم السماح بالتنقل الحرّ للمدنيين وتسهيل الإخلاء الطبي للذين هم بحاجة إلى ذلك وفق المعايير الإنسانية.
- على أطراف النزاع أن يوقفوا الهجمات على المدارس والمستشفيات وغيرها من البنى التحتية المدنية الأساسية، والامتناع عن استخدام الأسلحة المتفجرة ذات التأثير الواسع النطاق في المناطق المأهولة.
- على الفريق الدولي لدعم سوريا ضمان عدم استخدام المساعدات كورقة مساومة للمفاوضات السياسية، وعدم ربط وصول المساعدات الإنسانية بوقف إطلاق النار ومناقشات وقف الأعمال القتالية.
- وعلى قوى العمل الإنساني التابعة للفريق الدولي لدعم سوريا ضمان الوصول الإنساني المتسق والمستمرّ إلى المناطق المحاصرة والمناطق التي يصعب الوصول إليها، مع طلب واحد يسمح بالإيصالات المتعددة الدورية عوضًا عن المواقب التي تدخل لمرة واحدة. وعلى الإيصالات الدورية أن تكون القاعدة وليس الاستثناء.

لقد قامت جمعية إنقاذ الطفل الدولية بدعم الفرقاء السوريين الذين يعملون في المناطق المحاصرة والتي يصعب الوصول إليها منذ العام 2013. ومعًا نؤمن الطرود الغذائية للأسر الهشة ونساعد المدارس للاستمرار بالعمل ونصلح أنظمة المياه ونوزع مستلزمات النظافة ونقيم مساحات صديقة للطفل ونؤمن الدعم النفسي للأطفال المتأثرين بالقصف والحصار. وبفضل دعمنا، تمكّن شركاؤنا من تأمين بعض المساعدة لأكثر من نصف مليون طفل في المواقع المحاصرة والتي يصعب الوصول إليها في سوريا.